مختصر خطبة صلاة الجمعة 6/ 6/ 2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الأُلفة بين المسلمين)

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 103-105-104].

أيها الإخوة:

المتتبّع لآيات القرآن الكريم وأحاديثِ النَّبيّ ﷺ وأحكامِ الشَّريعة الغراء؛ يجد أن هذا الدِّين يدعو في كل تعاليمه –بطريقةٍ أو بأخرى– إلى التآلف والجماعة والتحابب، وينهى –بطريقة أو بأخرى– عن التَّفرُّقِ والتَّشرذمِ والتَّناحر والتَّدابر.

وتعلمون أن في العبادات حثّاً على الاجتماع، كصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والحج، والزكاة والصدقات التي تشكّل نوعاً من الترابط الاجتماعي، وكذا بر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، وعون المحتاج، وعيادة المريض...

بينما ينهانا الشرع عن كل ما يؤجّج العداوة، كالحسد والبغضاء، والمراء والغلظة، والحقد والظلم، وعقوق الوالدين...

وفي كلِّ هذا دِلالاتٌ واضحةٌ على دعوة الإسلام إلى الألفة بين المسلمين؛ لأنَّ الألفة بين المسلمين رحمةٌ والبغضاء عذاب.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى**»، وفي رواية: «**المُسلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشتَكَى عَينُهُ اشتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشتَكَى رَأسُهُ اشتَكَى كُلُّه**»، وأخرج الإمام مسلم قال ﷺ: « «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ**».

قال ابنُ عبَّاس لتلميذه سِماك: "يا سِماك، الجماعةَ الجماعةَ، فإنَّما هلكَتِ الأممُ الخاليةُ لتفرُّقِهَا".

قال عمر بن عبد العزيز رحمة الله تعالى: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا، كان في الأمر سعة.

روى الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الإمام الحافظ أبي موسى يونس بن عبد الأعلى المصري أحد أصحاب الإمام الشافعي أنه قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة؟". فتراجم علمائنا وسلف هذه الأمة دالةٌ على تآخي العلماء وتحابُبِهم، وتقديرِ بعضِهم لبعض وإن اختلفت مذاهبهم وأفهامهم، وهم وإن اختلفوا في كثير من المسائل العملية وبعض المسائل العلمية الاعتقادية، ولكنهم حافظوا على أدب الخلاف والألفة والمحبة واحترام المسلمين.

معلوم للجميع أن سياسة (فرّق تَسُدْ) سياسة الاستعمار القديم في بلاد المسلمين، وأن (تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ) سياسة الاستعمار الحديث، والأمة في هذه الأزمنة العصيبة أحوج ما تكون إلى توحيد الجهود وتآلف القلوب، خاصة وأن المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة وكتاب رباني واحد ورسالة نبوية هادية جامعة.

والحمد لله رب العالمين